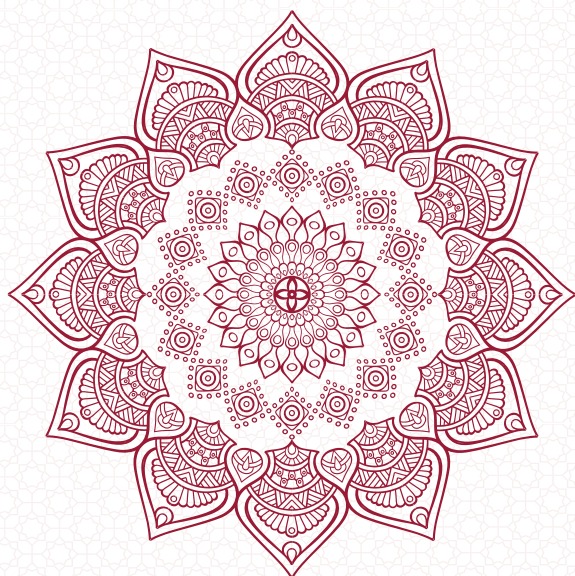


تفسير قصار السور

فضيلة الشيخ:

أ. د. أحمد بن حمد الونيس



تفسير الفاتحة وقصار السور^(١)

لبرنامج دليل رمضان ١٤٤٧هـ

المجلس الأول (الفاتحة، الضحى - الشرح - التين)

تفسير سورة الفاتحة

إن الحمد لله ... أما بعد:

فإن الفاتحة هي أعظم سورة في كتاب الله **عَزَّوَجَلَّ**، يحفظها كل مسلم، ويحفظ أيضاً جملةً من قصار السور، يقرأها في صلاته، ويسمعها المأموم من إمامه، فحريّ أن يكون على علمٍ بمعاني هذه السور العظيمة، والله - **عَزَّوَجَلَّ** - إنما أنزل كتابه ليقرأ ويتدبر ويعمل به، كما قال سبحانه: ﴿كَتَبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩].

ويدل لكونها أعظم سورة في القرآن الكريم حديث أبي سعيد بن المَعْلَى **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** أن النبي **ﷺ** قال له: «لَأَعْلَمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ السُّورِ فِي الْقُرْآنِ، قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنَ الْمَسْجِدِ». ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي، فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ، قُلْتُ لَهُ: «أَلَمْ تَقُلْ لَأَعْلَمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ سُورَةٍ فِي الْقُرْآنِ»، قَالَ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ «هِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي، وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي أُوتِيَتْهُ» رواه البخاري ٤٤٧٤.

(١) تنبيه: هذا التفسير مستفاد من تفسير ابن كثير وتفسير ابن سعدي رحمهما الله تعالى، مع إضافات من مراجع أخرى، ولم يُراعَ فيه التوثيق العلمي؛ لأن الغرض ابتداءً لم يكن لنشره، وإنما تم إخراج هذه الصورة للتيسير على طلاب العلم في برنامج دليل، والله الموفق.

ومعنى (السبع المثاني) أي أنها سبع آيات، تُثنى، أي تُكرّر قراءتها في كل ركعة.

وسماها الله تعالى الصلاة، كما في حديث أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ **ﷺ** يَقُولُ: «قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ١، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: حَمَدَنِي عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ١، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: ﴿مَلِكٌ يَوْمَ الدِّينِ﴾ ٢، قَالَ: مَجَّدَنِي عَبْدِي - وَقَالَ مَرَّةً فَوْضَ إِلَيَّ عَبْدِي - فَإِذَا قَالَ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ٣، قَالَ: هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ٤ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ٥﴾ قَالَ: هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ» رواه مسلم ٣٩٥.

ويسن لمن أراد قراءة الفاتحة أو غيرها من القرآن، أن يقول: عند القراءة: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، ومعنى أعوذ بالله أي اعتصم وألتجئ وأتحرز بالله (من الشيطان) أي من شر الشيطان أن يصيبني بأذى، والرجيم الذي رُجم وطُرد من رحمه الله تعالى.

ثم يقول القارئ بعد الاستعاذة: بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ١ الحمد هو وصف الله تعالى بالكمال، محبة له وتعظيمًا، فهو سبحانه المستحق لجميع أنواع المحامد والثناء.

ومعنى (رب العالمين) أي المالك للعالمين، المربي لجميع خلقه بنعمه، والعالمين: جمع عالم، وهو كل ما سوى الله تعالى، كعالم الإنس وعالم الجن

وعالم الملائكة، وعالم الطير وعالم النبات وغيرها مما لا يعلمه إلا الله تعالى، فكلها تحت ملك الله سبحانه وتصرفه وقهره.

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ اسمان لله تعالى، يتضمنان إثبات صفة الرحمة لله عز وجل، على ما يليق بجلاله، والرحمن: أي ذو الرحمة الواسعة التي وسعت جميع الخلق، والرحيم: أي بال مؤمنين.

﴿مَلِكٌ يَوْمَ الدِّينِ﴾ أي مالك يوم الجزاء والحساب، يدينهم الله فيه بأعمالهم.

وإنما خص يوم الدين في هذه الآية مع أنه سبحانه المالك الحقيقي للعالم، أيضاً، لأن ملكه سبحانه للأخرة لا يدعيه معه أحد من الخلق كملكهم في الدنيا، ولهذا قال سبحانه عن ملكة يوم القيامة ﴿لَمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾.

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ أي لا نعبد إلا الله وحده، ولا نستعين إلا به، وإفادة الحصر هنا تؤخذ من تقديم ما حقه التأخير، فـ (إياك) مفعول به مقدم، و (نعبد) فعل مؤخر، وتقديم ما حقه التأخير يفيد الحصر، فيكون المعنى نعبدك ولا نعبد غيرك، ويقال مثل ذلك في قوله تعالى: (وإياك نستعين).

والعبادة هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة.

﴿هُدًى صِرَاطَ الْمُسْتَقِيمِ﴾ وهذا السؤال جاء بعد ثناء الله تعالى، وإذا جاء الدعاء بعد الثناء كان أقرب إلى الإجابة، ومعنى الآية: أي أرشدنا يا ربنا، ودلنا على الصراط المستقيم، ووفقنا لسلوكه، ففيها سؤال العلم النافع والتوفيق للعمل الصالح.

والصراط المستقيم هو الطريق الواضح الذي لا اعوجاج فيه، والمراد به الإسلام.

وسؤال المؤمن ربه الهداية مع كونه متصفاً بها، يراد به أن يثبتته الله تعالى عليها وأن يزيده من الهدى، فإن العبد مفتقر إلى ربه، محتاج إلى تثبيته على الخير والازدياد منه.

﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ أي هذا الصراط المستقيم هو صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، المذكورين في سورة النساء، في قوله تعالى: ﴿ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ﴾ (٦٩).

﴿ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ (٧) يسأل ربه سبحانه أن يجنبه طريق المغضوب عليهم وهم اليهود، الذين عرفوا الحق فلم يعملوا به، ويجنبه طريق الضالين، وهم النصارى الذين ضلوا عن الحق؛ لعدم اتباعهم للرسول ﷺ.

ويُستحب لقارئ سورة الفاتحة بعد أن يفرغ منها أن يقول: «آمين» سواءً أكان في الصلاة أم خارج الصلاة، وقد ورد في فضل قول: «آمين» قول النبي ﷺ: «إِذَا آمَنَ الْإِمَامُ فَأَمَّنُوا، فَإِنَّهُ مَنْ وَافَقَ تَأْمِينُهُ تَأْمِينَ الْمَلَائِكَةِ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ» (١).



(١) متفق عليه: رواه البخاري في صحيحه برقم (٧٨٠)، ومسلم برقم (٤١٠).

تفسير سورة الضحى

وهي مكية.

وسبب نزولها: عَنْ جُنْدَبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «اِحْتَبَسَ جِبْرِيلُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَتْ امْرَأَةٌ مِنْ قُرَيْشٍ: أَبْطَأَ عَلَيْهِ شَيْطَانُهُ، فَتَرَكَتُ: ﴿وَالضُّحَى﴾ ① **وَاللَّيْلَ إِذَا سَجَى** ② **مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى** ③»، رواه البخاري ١١٢٥.

ورواه مسلم ١٧٩٧ عن جُنْدَبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «اشْتَكَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ يَقُمْ لَيْلَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، فَجَاءَتْهُ امْرَأَةٌ، فَقَالَتْ: يَا مُحَمَّدُ، إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ شَيْطَانُكَ قَدْ تَرَكَكَ، لَمْ أَرَهُ قَرِيبَكَ مُنْذُ لَيْلَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثٍ»، قَالَ: «فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَالضُّحَى﴾ ① **وَاللَّيْلَ إِذَا سَجَى** ② **مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى** ③».

قوله تعالى: (والضحى) هذا قسم منه تعالى بالضحى، وما جعل فيه من الضياء، ووقت الضحى من طلوع الشمس إلى زوال الشمس.

﴿وَاللَّيْلَ إِذَا سَجَى﴾ ② وهذا قسم أيضا بالليل إذ سكن فأظلم وادلهم. فأقسم جَلَّ وَعَلَا بالنهار والليل، وذلك دليل ظاهر على قدرة خالق هذا وهذا. كما قال: ﴿وَاللَّيْلَ إِذَا يَغْشَى﴾ ① **وَالنَّهَارَ إِذَا تَجَلَّى** ②

وقوله: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ﴾ أي: ما تركك منذ اعتنى بك، ولا أهملك منذ رباك ورعاك، ﴿وَمَا قَلَى﴾ أي: وما أبغضك منذ أحبك، فإن نفي الضد دليل على ثبوت ضده، والنفي المحض لا يكون مدحا إلا إذا تضمن ثبوت الكمال.

﴿وَلَاخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى﴾ ③ أي: والدار الآخرة خير لك من الدار الدنيا. ولهذا كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أزهد الناس في الدنيا، كما هو معلوم بالضرورة من سيرته.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: نَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى حَصِيرٍ فَقَامَ وَقَدْ أَثَّرَ فِي جَنْبِهِ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ اتَّخَذْنَا لَكَ وَطَاءً، فَقَالَ: «مَا لِي وَلِلدُّنْيَا، مَا أَنَا فِي الدُّنْيَا إِلَّا كَرَائِبٍ اسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا» رواه الترمذي ٢٣٧٧، وقال: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ»، وصححه الألباني.

وقوله: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ أي: في الدار الآخرة يعطيه حتى يرضيه في أمته، وفيما أعده له من الكرامة، ومن جملة نهر الكوثر الذي حافظه قباب اللؤلؤ المجوف، وطينه من مسك أذفر كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

ثم ذكر الله عَزَّ وَجَلَّ نعمه التي أنعم بها على نبيه محمد ﷺ فقال:

﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى﴾ أي: وجدك لا أب لك، فقد مات أبو النبي ﷺ وهو حمل في بطنه أمه، ثم ماتت أمه وله ست سنين، ثم كفله جده عبد المطلب، فمات وللنبي ﷺ ثمان سنين، فكفله عمه أبو طالب، ثم لم يزل يحوطه وينصره، ويكف عنه أذى قومه بعد أن ابتعثه الله على رأس أربعين سنة من عمره، هذا وأبو طالب على دين قومه من عبادة الأوثان، وكل ذلك بقدر الله وحسن تدبيره، إلى أن توفي أبو طالب قبل الهجرة بقليل، فأقدم عليه سفهاء قريش وجهالهم، فاختار الله له الهجرة من بين أظهرهم إلى بلد الأنصار من الأوس والخزرج، كما أجرى الله سنته على الوجه الأتم والأكمل. فلما وصل إليهم آووه ونصروه وحاطوه وقاتلوا بين يديه، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين، وكل هذا من حفظ الله له وكلاءته وعنايته به.

﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾ أي: وجدك لا تدري ما الكتاب ولا الإيمان، فعلمك ما لم تكن تعلم، ووفقك لأحسن الأعمال والأخلاق، وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ

وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِّنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدَى إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾
[الشورى: ٥٢].

وقوله: ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى﴾ ﴿٨﴾ أي: كنت فقيرا ذا عيال، فأغناك الله بما فتح عليك من البلدان التي جبيت لك أموالها، فجمع الله عزَّ وجلَّ له بين مقامي، الفقير الصابر والغني الشاكر، صلوات الله وسلامه عليه.
وتعداد هذه النعم يوجب شكر الله تعالى عليها، وقد قام نبينا بالشكر لربه عزَّ وجلَّ أتم قيام صلوات ربي وسلامه عليه.

ثم قال عزَّ وجلَّ: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ ﴿٩﴾ أي: كما كنت يتيما فأواك الله فلا تقهر اليتيم، أي: لا تذله وتنهره وتُهِنه، ولكن أحسن إليه، وتلطّف به. قال قتادة: كن لليتيم كالأب الرحيم.

﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ ﴿١٠﴾ أي لا تغلظ لمن سألَكَ، وهذا يشمل سائل المال، فإما أن يعطى أو يُردَّ برفق وإحسان، ويشمل السائل عن العلم، فإنه يُجاب إن كان عند المسؤول علم، ولا يغلظ له، أي وكما كنت ضالا فهذاك الله فلا تنهر السائل عن العلم الذي يطلب الهداية، ولهذا كان المعلم مأمورا بحسن الخلق مع المتعلم، وإكرامه والإحسان إليه.

﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ ﴿١١﴾: وهذا يشمل النعم الدينية والدينية، ومعنى: ﴿فَحَدِّثْ﴾ ﴿١١﴾ أي: أثن على الله بها، وخصصها بالذكر إن كان هناك مصلحة، وإلا فحدِّث بنعم الله على الإطلاق، فإن التحدث بنعمة الله، داع لشكرها، وموجب لتحبيب القلوب إلى من أنعم بها، فإن القلوب مجبولة على محبة المحسن.

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «من صنِعَ إليه معروفٌ فليُجزِه، فإن لم يجد ما يُجزيه فليُثِّنْ عليه، فإنَّه إذا أثنى فقد شكره، وإن كتمه فقد كفره...»، رواه أبو داود ٤٨١٣، والترمذي ٢٠٣٤، والبخاري في الأدب المفرد ٢١٥، واللفظ له، وحسنه الألباني.

ومعنى: «ومن كتمه فقد كفره» أي فقد كفر تلك النعمة^(١).

فإذا كان ذكر المعروف الذي يقدره الله على يدي إنسان يُعد من شكره، فذكر معروف رب العالمين وآلائه وإحسانه ونسبة ذلك إليه أولى بأن يكون شكراً.



(١) قال الترمذي بعده: (وَمَعْنَى قَوْلِهِ: «وَمَنْ كَتَمَ فَقَدْ كَفَرَ» يَقُولُ: قَدْ كَفَرَ تِلْكَ النُّعْمَةَ).

تفسير سورة الشرح

وهي مكية.

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۖ﴾ [١] هذا امتنان من الله عز وجل على نبيه ﷺ بأن شرح له صدره، أي: نوره وجعله فسيحا رحيبا واسعا لشرائع الدين، والاتصاف بمكارم الأخلاق، فلم يكن ضيقا حرجا، وهذا كقوله: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾ [الأنعام: ١٢٥]، وكما شرح الله صدره كذلك جعل شرعه فسيحا واسعا سمحا سهلا لا حرج فيه ولا إصر ولا ضيق.

وقيل: المراد بقوله: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۖ﴾ [١] شرح صدره ليلة الإسراء، وهذا وإن كان واقعا، ولكن لا منافاة، فإن من جملة شرح صدره الذي فعل بصدره ليلة الإسراء، وما نشأ عنه من الشرح المعنوي.

وقوله: ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۖ﴾ [٢] أي ذنبك، كما قال تعالى: ﴿يَغْفِرْ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ٢]

﴿الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ۖ﴾ [٣] أي: أثقل حمله.

وقوله: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۖ﴾ [٤] أي: أعلينا قدرك، وجعلنا لك الشاء الحسن العالي، الذي لم يصل إليه أحد من الخلق، فلا يذكر الله إلا ذكر معه رسوله ﷺ، كما في الدخول في الإسلام، وفي الأذان، والإقامة، والخطب، ونحو ذلك.

قال مجاهد: لا أذكر إلا ذكرت معي: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا رسول الله.

وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۖ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۚ﴾ بشارة عظيمة، أنه كلما وجد عسر وصعوبة، فإن اليسر يقارنه ويصاحبه، حتى لو دخل العسر جحر ضب لدخل عليه اليسر، فأخرجه كما قال تعالى: ﴿سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ۖ﴾ وكما قال النبي ﷺ: «وإن الفرج مع الكرب، وإن مع العسر يسرا».

وتعريف «العسر» في الآيتين، يدل على أنه واحد، وتكثير «اليسر» يدل على تكراره، فلن يغلب عسر يسرين.

وفي تعريفه بالألف واللام، الدالة على الاستغراق والعموم يدل على أن كل عسر - وإن بلغ من الصعوبة ما بلغ - فإنه في آخره التيسير ملازم له.

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنِ الْمَعُونَةُ تَأْتِي مِنَ اللَّهِ عَلَى قَدَرِ الْمُؤُونَةِ، وَإِنِ الصَّبْرُ يَأْتِي مِنَ اللَّهِ عَلَى قَدَرِ الْبَلَاءِ» رواه البزار ٨٨٧٨، وصححه الألباني في الصحيحة برقم ١٦٦٤.

والمعنى: أن الله عَزَّجَلَّ ينزل الإعانة لعبده من مال وغيره على قدر مؤونته وحاجته، أي يعطيه رزقه على قدر حاجته، وينزل الصبر على عبده المصاب بقدر مصيبته، فإن عظمت أفرغ الله عليه صبرا كثيرا لظفا منه سبحانه به، لئلا يجزع، وإن خفت المصيبة أفرغ عليه صبرا بقدرها.

وإذا كانت المعونة من الله عَزَّجَلَّ والصبر منه سبحانه فينبغي للعبد أن يسألهما الله تعالى.

وقال الشاعر:

ولرب نازلة يضيق بها الفتى ذرعا وعند الله منها المخرج
كملت فلما استحكمت حلقاتها فرجت وكان يظنها لا تفرج

ثم أمر الله رسوله ﷺ بشكره والقيام بواجب نعمه، فقال: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾ أي: إذا تفرغت من أشغالك، ولم يبق في قلبك ما يعوقه، فاجتهد في العبادة والدعاء.

﴿وَالِلَّيْلِ رَبِّكَ﴾ وحده ﴿فَارْعَبْ﴾ (٨) أي: أعظم الرغبة في إجابة دعائك وقبول عباداتك، ولا تكن ممن إذا فرغوا وتفرغوا لعبوا وأعرضوا عن ربهم وعن ذكره، فتكون من الخاسرين.

وتقديم ما حقه التأخير يفيد الحصر، فقدم **جَلَّ وَعَلَا** الجار والمجرور (وإلى ربك) على قوله: (فارغب) والذي حقه التقديم، لأجل الحصر. والأمر في هذه الآية الكريمة للرسول ﷺ أمر لأئمة بالتبع.

ومن هذا المعنى قوله ﷺ في الحديث المتفق على صحته: «لا صلاة بحضرة طعام، ولا وهو يدافعه الأخبثان» وقوله ﷺ: «إذا أقيمت الصلاة وحضر العشاء، فابدؤوا بالعشاء»، لأجل أن يكون القلب متفرغاً لعبادة الله تعالى ومناجاته.



تفسير سورة والتين

وهي مكة.

عن البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ قَرَأَ فِي الْعِشَاءِ بِالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ فَمَا سَمِعْتُ أَحَدًا أَحْسَنَ صَوْتًا مِنْهُ. رواه البخاري ٧٦٩، ومسلم ٤٦٤.

وفي لفظ لمسلم: عن البراء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ فِي سَفَرٍ فَصَلَّى الْعِشَاءَ الْآخِرَةَ فَقَرَأَ فِي إِحْدَى الرُّكْعَتَيْنِ بِالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ.

قوله تعالى: ﴿وَالَّتَيْنِ وَالزَّيْتُونِ ۝١﴾ هو التين والزيتون المعروفان، أقسم الله عَزَّوَجَلَّ بهاتين الشجرتين، لكثرة منافع شجرهما وثمرهما، ولأن سلطانهما في أرض الشام، محل نبوة عيسى ابن مريم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

﴿وَطُورِ سِينِينَ ۝٢﴾ أي: طور سيناء، الجبل الذي كلم الله عليه موسى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ۝٣﴾ وهي: مكة المكرمة، فهي بلد أمين، ومن دخله كان آمناً، وهي محل نبوة محمد ﷺ.

فأقسم الله تعالى بهذه المواضع الثلاثة المقدسة، التي اختارها وبعث في كل واحد منها نبيا مرسلا من أولي العزم أصحاب الشرائع الكبار.

وقوله: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤﴾ هذا هو المقسم عليه (جواب القسم) وهو أنه تعالى خلق الإنسان في أحسن صورة وشكل، منتصب القامة، سوي الأعضاء حسناتها.

﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ أي: إلى النار. أي ثم بعد هذا الحسن في الخلق مصيره إلى النار إن لم يطع الله ويتبع الرسل؛ ولهذا قال: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾

وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ ۝٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴿[العصر: ١- ٣] .

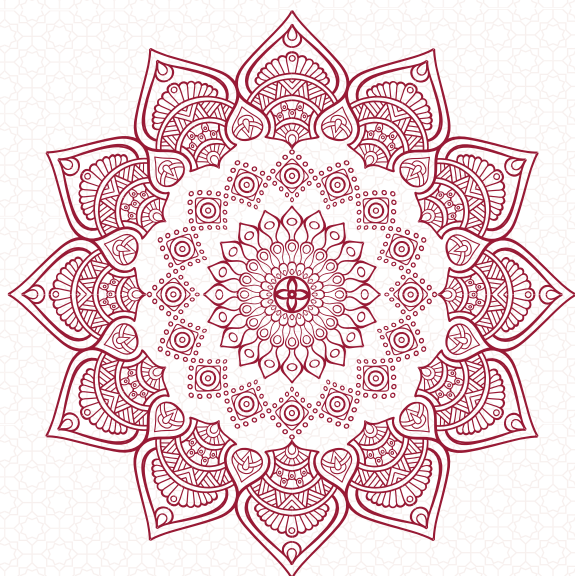
وقوله تعالى: ﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ أي: غير مقطوع.

وقوله تعالى: ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ﴾ يعني: يا ابن آدم ﴿بَعْدُ بِالَّذِينَ﴾؟ أي: بالجزاء في المعاد وقد علمت البداية، وعرفت أن من قدر على البداية، فهو قادر على الرجعة بطريق الأولى، فأى شيء يحملك على التكذيب بالمعاد وقد عرفت هذا؟

وقوله: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ﴾ أي أن حكمته جَلَّ وَعَلَا تقتضي ألا يترك الخلق سدى لا يؤمرون ولا ينهون، ولا يثابون ولا يعاقبون، بل لا بد أن يقيم القيامة فيحاسبون العباد على أعمالهم، وينصف المظلوم في الدنيا ممن ظلمه.

عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أُمَيَّةَ، قَالَ: سَمِعْتُ رَجُلًا بَدَوِيًّا أَعْرَابِيًّا، يَقُولُ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يُرْوِيهِ يَقُولُ: «مَنْ قَرَأَ سُورَةَ: وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ فَقَرَأَ: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ﴾ فَلْيُقْل: بَلَى وَأَنَا عَلَى ذَلِكَ مِنَ الشَّاهِدِينَ» رواه الترمذي ٣٣٤٧، وقال: «هَذَا حَدِيثٌ إِنَّمَا يُرْوَى بِهَذَا الْإِسْنَادِ عَنْ هَذَا الْأَعْرَابِيِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَلَا يُسَمَّى» والحديث ضعفه النووي في خلاصة الأحكام ٥٠٢/١، والألباني في ضعيف الترمذي.

والحمد لله رب العالمين



تفسير سورة اقرأ

وهي مكية.

هذه السورة أول السور القرآنية نزولا على رسول الله ﷺ.

﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ أي عموم الخلق، ثم خص الإنسان، وذكر ابتداء خلقه فقال: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ فالذي خلق الإنسان واعتنى بتدبيره، لا بد أن يدبره بالأمر والنهي، وذلك بإرسال الرسل، وإنزال الكتب، ولهذا ذكر بعد الأمر بالقراءة، خلقه للإنسان.

ثم قال: ﴿أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ أي: كثير الصفات واسعها، كثير الكرم والإحسان، واسع الجود، الذي من كرمه أن علّم بالقلم.

﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۖ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ ١٠ فإنه تعالى أخرجه من بطن أمه لا يعلم شيئا، وجعل له السمع والبصر والفؤاد، ويسر له أسباب العلم. فعلمه القرآن، وعلمه الحكمة، وعلمه بالقلم، الذي به تحفظ العلوم، وتضبط الحقوق، وتكون رؤسلا للناس تنوب مناب خطابهم، وهذا من النعم العظيمة التي أنعم الله بها على عباده.

عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح. ثم حُبب إليه الخلاء، فكان يأتي حراء فيتحنث فيه -وهو: التعبد- الليالي ذوات العدد، ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة فتزود لمثلها حتى فجأه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك فيه فقال: اقرأ. قال رسول الله ﷺ: «فقلت: ما أنا بقارئ».

قال: «فأخذني فغطّني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني، فقال: اقرأ. فقلت: ما أنا بقارئ. فغطّني الثانية حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ. فقلت: ما أنا بقارئ. فغطّني الثالثة حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ حتى بلغ: ﴿مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ قال: فرجع بها ترجف بواديه حتى دخل على خديجة فقال: «زملوني زملوني». فزملوه حتى ذهب عنه الروع. فقال: يا خديجة، ما لي: فأخبرها الخبر وقال: «قد خشيت عليّ». فقالت له: كلا، أبشر، فوالله لا يخزيك الله أبداً؛ إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكلّ، وتقرّي الضيف، وتعين على نوائب الحق. ثم انطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ابن قصي -وهو ابن عم خديجة، أخي أبيها، وكان امرأ تنصر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العربي، وكتب بالعربية من الإنجيل ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخاً كبيراً قد عمي- فقالت خديجة: أي ابن عم، اسمع من ابن أخيك. فقال ورقة: ابن أخى، ما ترى؟ فأخبره رسول الله ﷺ ما رأى، فقال ورقة: هذا الناموس الذي أنزل على موسى ليتني فيها جذعاً أكون حياً حين يخرجك قومك. فقال رسول الله ﷺ: «أومخرجي هم؟». فقال ورقة: نعم، لم يأت رجل قط بما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً. ثم لم ينشب ورقة أن توفي... الحديث. متفق عليه.

فهذه الآيات الكريمات، هن أول رحمة رحم الله بها العباد، وأول نعمة أنعم الله بها عليهم. وفيها التنبيه على ابتداء خلق الإنسان من علقه، وأن من كرمه تعالى أن علم الإنسان ما لم يعلم، فشرفه وكرمه بالعلم، وهو القدر الذي امتاز به أبو البرية آدم عليه السلام على الملائكة، والعلم تارة يكون في الأذهان، وتارة يكون في اللسان، وتارة يكون في الكتابة بالبنان، ذهني ولفظي ورسمي،

والرسمي يستلزمهما من غير عكس، فلهذا قال: ﴿أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾^(٣)
 الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿١﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾

﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيْطَغَىٰ ﴿٦﴾ أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَىٰ ﴿٧﴾﴾ كلا: بمعنى حقًا، يعني
 أن الله تعالى يثبت هذا إثباتًا لا مرية فيه.

فيخبر تعالى عن جنس الإنسان أنه ذو فرح وأشر وبطر وطغيان، إذا رأى
 نفسه قد استغنى وكثر ماله.

ثم تهدده وتوعده ووعظه فقال: ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ﴾ أي: إلى الله
 المصير والمرجع، وسيحاسبك على مالك: من أين جمعته؟ وفيم صرفته؟

ثم قال تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ ﴿١٠﴾﴾ نزلت في
 أبي جهل، لعنه الله، توعده النبي ﷺ على الصلاة عند البيت، فوعظه الله تعالى
 بالتي هي أحسن أولاً فقال: ﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَىٰ الْهُدَىٰ﴾ أي: فما ظنك إن
 كان هذا الذي تنهاه على الطريق المستقيمة في فعله، أو ﴿أَمَرَ بِالْتَّقْوَىٰ﴾ بقوله،
 وأنت تزجره وتوعده على صلاته، فهل يحسن أن ينهى، من هذا وصفه؟ أليس
 نبيه من أعظم المحادة لله، والمحاربة للحق؟ فإن النهي، لا يتوجه إلا لمن هو
 في نفسه على غير الهدى، أو كان يأمر غيره بخلاف التقوى.

﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ﴾ يعني أبا جهل، ﴿وَتَوَلَّىٰ﴾ عَنِ الْإِيمَانِ، أما يخاف الله
 ويخشى عقابه؟

وَتَقْدِيرُ نَظْمِ الْآيَةِ: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ ﴿١٠﴾﴾ وهو على
 الهدى، وأمر بالتقوى، والنَّاهِي مُكَذِّبٌ مُتَوَلِّ عَنِ الْإِيمَانِ، فَمَا أَعْجَبَ مِنْ هَذَا!

ولهذا قال: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ﴾ أي: أما علم هذا الناهي لهذا
 المهتدي أن الله يراه ويسمع كلامه، وسيجزيه على فعله أتم الجزاء.

ثم توعده الله إن استمر على حاله، فقال: ﴿كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ﴾ كلاً: بمعنى حقاً، ويحتمل أن تكون للردع، أي لردعه عن فعله السيئ الذي كان يقوم به تجاه رسول الله ﷺ.

﴿كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ﴾ عما يقول ويفعل ﴿لَنْسَفَعَا بِالنَّاصِيَةِ﴾ أي: لنسمنها سودا يوم القيامة. وقيل: ﴿لَنْسَفَعَا بِالنَّاصِيَةِ﴾ أي: لناخذن بناصيته، أخذاً عنيفاً، وهي حقيقة بذلك، فإنها ﴿نَاصِيَةٍ كَذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾ أي ناصية أبي جهل، كاذبة في قولها، خاطئة في فعلها.

﴿فَلْيَدْعُ﴾ هذا الذي حق عليه العقاب ﴿نَادِيَهُ﴾ أي: أهل مجلسه وأصحابه ومن حوله، ليعينوه على ما نزل به، ﴿سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ﴾ أي: خزنة جهنم، وهم ملائكة العذاب؛ لأخذه وعقوبته، فلينظر أي: الفريقين أقوى وأقدر؟ فهذه حالة الناهي وما توعده من العقوبة.

وأما حالة المنهي، فأمره الله تعالى ألا يصغي إلى هذا الناهي ولا ينقاد لنهيهِ فقال: ﴿كَلَّا لَا تُطِعْهُ﴾ أي: فإنه لا يأمر إلا بما فيه خسارة الدارين، ﴿وَأَسْجُدْ﴾ لربك ﴿وَاقْتَرَبْ﴾ منه في السجود وغيره من أنواع الطاعات والقربات، فإنها كلها تدني من رضاه وتقرب منه.

وهذا عام لكل ناه عن الخير ومنهي عنه، وإن كانت نازلة في شأن أبي جهل حين نهى رسول الله ﷺ عن الصلاة، وآذاه.

عن ابن عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قَالَ أَبُو جَهْلٍ: لَئِنْ رَأَيْتُ مُحَمَّدًا يُصَلِّي عِنْدَ الْكَعْبَةِ لِأَطَانٍ عَلَى عُنُقِهِ، فَبَلَغَ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: «لَوْ فَعَلَهُ لَأَخَذْتُهُ الْمَلَائِكَةُ» رواه البخاري ١٧٤/٦.

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُصَلِّي فَجَاءَ أَبُو جَهْلٍ فَقَالَ:

أَلَمْ أَنْهَكَ عَنْ هَذَا؟ أَلَمْ أَنْهَكَ عَنْ هَذَا؟ أَلَمْ أَنْهَكَ عَنْ هَذَا؟ «فَانْصَرَفَ النَّبِيُّ ﷺ فَرَبَّرَهُ»، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ: إِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا بِهَا نَادٍ أَكْثَرُ مِنِّي، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾ ١٧ ﴿سَدْعُ الزَّبَانِيَةِ﴾ ١٨ ﴿فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «وَاللَّهِ لَوْ دَعَا نَادِيَهُ لَأَخَذَتْهُ زَبَانِيَةُ اللَّهِ» رواه الترمذي ٣٣٤٩، وقال: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ» وقال الألباني: صحيح الإسناد.



تفسير سورة القدر

وهي مكية.

قال الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ أي إنا أنزلنا القرآن في ليلة مباركة شريفة، هي ليلة القدر، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَرَّكَةٍ﴾ وهذه الليلة التي أنزل فيها القرآن هي في شهر رمضان، كما قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ [البقرة: ١٨٥].

فالله **عَزَّوَجَلَّ** أنزل القرآن جملة واحدة إلى السماء الدنيا، ثم نزل به جبريل عليه السلام على النبي **ﷺ** مُنْجَمَا أي مُفَرَّقًا، بحسب الوقائع.

فعن ابن عباس **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا**، قَالَ: «فُصِّلَ الْقُرْآنُ مِنَ الذِّكْرِ، فَوُضِعَ فِي بَيْتِ الْعِزَّةِ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَجَعَلَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يُنْزِلُهُ عَلَى النَّبِيِّ **ﷺ**، وَيُرْتِّلُهُ تَرْتِيلًا» رواه الحاكم ٢٨٨١، وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ إِسْنَادًا، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ. ووافقه الذهبي.

وسُميت ليلة القدر بذلك لعِظَمِ قَدْرِهَا وفضلها عند الله **عَزَّوَجَلَّ**، ولأن للعمل الصالح فيها قدرا عظيما، ولأنه يُقَدَّرُ فيها ما يكون في العام من الأجل والأرزاق والمقادير، كما قال تعالى: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾.

ثم قال تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾ هذا تفخيم لشأن هذه الليلة، وبيان لعظيم شرفها.

﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ أي: تعادل من فضلها ألف شهر، فالعمل فيها خير من العمل في ألف شهر - ليس فيها ليلة القدر -، وهذا من فضل الله تعالى ومَنِّه على هذه الأمة، حيث إن العمل في هذه الليلة خير من العمل مدة ألف شهر، أي أكثر من ثلاث وثمانين سنة.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَتَاكُمْ رَمَضَانُ شَهْرٌ مُبَارَكٌ فَرَضَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْكُمْ صِيَامَهُ، تَفْتَحُ فِيهِ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَتُغْلَقُ فِيهِ أَبْوَابُ الْجَحِيمِ، وَتُغَلُّ فِيهِ مَرَدَةُ الشَّيَاطِينِ، لِلَّهِ فِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، مَنْ حُرِمَ خَيْرَهَا فَقَدْ حُرِمَ» رواه النسائي ٢١٠٦، وصححه الألباني.

وعن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيْمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ» رواه البخاري ١٩٠١، ومسلم ٧٦٠.

وقد تواترت الأحاديث في فضلها، وأنها في رمضان، وفي العشر الأواخر منه، خصوصًا في أوتاره، وهي باقية في كل سنة إلى قيام الساعة.

ولهذا كان النبي ﷺ يعتكف ويكثر من التعبد في العشر الأواخر من رمضان، رجاء ليلة القدر.

وقوله: ﴿تَنْزِيلُ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾ أي: يكثر تنزل الملائكة في هذه الليلة لكثرة بركاتها، والملائكة يتنزلون مع تنزل البركة والرحمة، كما يتنزلون عند تلاوة القرآن ويحيطون بحلق الذكر، ويضعون أجنحتهم لطالب العلم رضى بما يصنع..

وأما الروح فقليل: المراد به هاهنا جبريل، عليه السلام، فيكون من باب عطف الخاص على العام لمزية في ذلك الخاص؛ لأن جبريل عليه السلام هو أفضل الملائكة عليهم السلام.

﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾ أي بأمره وإذنه الكوني، ﴿مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾ أي بكل أمر يأمرهم الله تعالى به ﴿سَلَامٌ هِيَ﴾ أي: سالمة من كل آفة وشر، وذلك لكثرة خيرها، ﴿حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ أي: مبتدأها من غروب الشمس ومنتهاها طلوع الفجر.

تفسير سورة البينة

وهي مدنية.

يقول الله تعالى: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ أي: من اليهود والنصارى ﴿وَالْمُشْرِكِينَ﴾ من سائر أصناف الأمم.

﴿مُنْفَكِينَ﴾ أي منتهين عن كفرهم وضلالهم الذي هم عليه، أي: لا يزالون في غيهم وضلالهم، لا يزيدهم مرور السنين إلا كفرًا.

﴿حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ الواضحة، والبرهان الساطع، ثم فسر تلك البينة فقال: ﴿رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ﴾ أي: أرسله الله، يدعو الناس إلى الحق، وأنزل عليه كتابًا يتلوه، ليُعلم الناس الحكمة ويزكيهم، ويخرجهم من الظلمات إلى النور، ولهذا قال: ﴿يَتْلُوا صُحُفًا مُطَهَّرَةً﴾ أي: محفوظة عن قربان الشياطين، لا يمسها إلا المطهرون، لأنها في أعلى ما يكون من الكلام، كقوله تعالى: ﴿فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ ۝ مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ ۝ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ۝ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ۝﴾ [عبس: ١٣-١٦].

ولهذا قال عنها: ﴿فِيهَا﴾ أي: في تلك الصحف ﴿كُتِبَ قِيَمَةٌ﴾ أي: أخبار صادقة، وأوامر عادلة تهدي إلى الحق وإلى صراط مستقيم.

فإذا جاءتهم هذه البينة، فحينئذ يتبين طالب الحق ممن ليس له قصد في طلبه، فيهلك من هلك عن بينة، ويحيى من حي عن بينة.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ﴾ كقوله سبحانه: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَةُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٠٥] يعني بذلك:

أهل الكتب المنزلة على الأمم قبلنا، بعد ما أقام الله عليهم الحجج والبيانات تفرقوا واختلفوا في الذي أراده الله من كتبهم، واختلفوا اختلافا كثيرا، كما جاء في الحديث أن النبي ﷺ قال: «إن اليهود اختلفوا على إحدى وسبعين فرقة، وأن النصارى اختلفوا على اثنتين وسبعين فرقة وستفرق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة». قالوا: من هم يا رسول الله؟ قال: «ما أنا عليه وأصحابي».

فإذا لم يؤمن أهل الكتاب لهذا الرسول وينقادوا له، فليس ذلك بدع من ضلالهم وعنادهم، فإنهم ما تفرقوا واختلفوا وصاروا أحزابا ﴿إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ﴾ التي توجب لأهلها الاجتماع والاتفاق، ولكنهم لرداءتهم وسوء قصدهم، لم يزدتهم الهدى إلا ضلالا.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ كقوله سبحانه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

فالكتب كلها جاءت بأصل واحد، ودين واحد فما أمروا في سائر الشرائع إلا أن يعبدوا ﴿اللَّهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ أي قاصدين بجميع عباداتهم الظاهرة والباطنة وجه الله تعالى، وطلب الزلفى لديه، ﴿حُنَفَاءَ﴾ أي: معرضين مائلين عن سائر الأديان المخالفة لدين التوحيد. وخص الصلاة والزكاة بالذكر مع أنهما داخلان في قوله ﴿لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ﴾ لفضلهما وشرفهما، وكونهما العبادتين اللتين من قام بهما قام بجميع شرائع الدين.

﴿وَذَلِكَ﴾ أي التوحيد والإخلاص في الدين، هو ﴿دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ أي: الملة القائمة العادلة، أو: الأمة المستقيمة المعتدلة. والمراد: أن التوحيد

وإخلاص الدين لله **عَزَّجَلَّ** هو الدين المستقيم، الموصل إلى جنات النعيم، وما سواه فطرق موصلة إلى الجحيم.

ثم ذكر الله **عَزَّجَلَّ** جزاء الكافرين المخالفين لما جاءت به الرسل عليهم السلام فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾ قد أحاط بهم عذابها، واشتد عليهم عقابها، ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ أي عذابهم دائم أبدا، لا يُقْتَر عنهم العذاب، ﴿أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾ أي: شر الخليقة التي برأها الله وذراها.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ أي آمنوا بقلوبهم، وعملوا الصالحات بأبدانهم ﴿أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ لأنهم أخلصوا لله العبادة، ففازوا بنعيم الدنيا والآخرة.

﴿جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ أي يوم القيامة ﴿جَنَّاتٍ عَدْنٍ﴾ أي: جنات إقامة ﴿تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ لا يرحلون عنها، ولا يطلبون غاية فوقها ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ فرضي عنهم بما قاموا به من مرضيه، ورضوا عنه، بما أعد لهم من أنواع الكرامات وجزيل المثوبات، ومقام رضاه ﴿جَلَّوَعَلَا عَنْهُمْ أَعْلَى مِمَّا أُوتُوهُ مِنَ النِّعَمِ الْمُقِيمِ﴾ ﴿ذَلِكَ﴾ الجزاء الحسن ﴿لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ أي: لمن خاف الله، فأحجم عن معاصيه، وقام بواجباته.



تفسير سورة إذا زلزلت

وهي مدنية.

قال الله تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ هذا إخبار من الله عز وجل عما يكون يوم القيامة، وأن الأرض تتزلزل أي تتحرك من أسفلها، وترتج وترجف حتى يسقط ما عليها، فتندك جبالها، وتسوى تلالها، وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ آتِفًا رَبُّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾.

﴿وَأُخْرِجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ أي: أُلْقَتْ ما في بطنها من الأموات والكنوز، كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ۖ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ﴾ [الانشقاق: ٣، ٤].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تَقِيءُ الْأَرْضُ أَفْلَاحَ كَبِدِهَا، أَمْثَالَ الْأُسْطُوانِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، فَيَجِيءُ الْقَاتِلُ فَيَقُولُ: فِي هَذَا قَتَلْتُ، وَيَجِيءُ الْقَاطِعُ فَيَقُولُ: فِي هَذَا قَطَعْتُ رَحِمِي، وَيَجِيءُ السَّارِقُ فَيَقُولُ: فِي هَذَا قَطَعْتُ يَدِي، ثُمَّ يَدْعُوهُ فَلَا يَأْخُذُونَ مِنْهُ شَيْئًا» رواه مسلم ١٠١٣.

قال النووي في شرح مسلم ٩٨/٧: (ومعنى الحديث: التشبيه أي تُخْرِج ما في جوفها من القطع المدفونة فيها، والأسطوان: بضم الهمزة والطاء، وهو جمع أسطوانة، وهي السارية والعمود، وشبهه بالأسطوان لعظمته وكثرته).

وقوله: ﴿وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا﴾ أي: استنكر أمرها بعد ما كانت قارة ساكنة ثابتة، وهو مستقر على ظهرها، فتغيرت الحال، فصارت متحركة مضطربة، فقال مستعظما لذلك: (ما لها؟).

﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ﴾ الأرض ﴿أَخْبَارَهَا﴾ أي: تشهد على العاملين بما عملوا على ظهرها من خير وشر، فإن الأرض من جملة الشهود الذين يشهدون على

العباد بأعمالهم، ذلك ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾ أي أوحى إليها، وأمرها أن تخبر بما عمل عليها، وقوله تعالى: ﴿أَوْحَىٰ لَهَا﴾ الظاهر أنه مُضْمَنٌ بمعنى أذن لها.

وقوله: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ﴾ أي: يرجعون عن موقف القيامة حين يقضي الله بينهم، ﴿أَشْتَاتًا﴾ أي: فَرَقًا وَأَصْنَافًا، ما بين شقي وسعيد، مأمور به إلى الجنة، ومأمور به إلى النار.

﴿لِيُرَوْا أَعْمَلَهُمْ﴾ أي: ليريهم الله ما عملوا من الحسنات والسيئات، ويريههم جزاءه، ولهذا قال: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۖ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۖ﴾ وهذا شامل عام للخير والشر كله، لأنه إذا رأى مثقال الذرة، التي هي أحقر الأشياء، وجوزي عليها فما فوق ذلك من باب أولى وأحرى، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾.

وهذه الآية فيها غاية الترغيب في فعل الخير ولو قليلا والترهيب من فعل الشر ولو حقيرًا.



تفسير سورة العاديات

وهي مكية.

﴿وَالْعَدِيَّتِ صُبْحًا﴾ يُقْسِمُ تَعَالَى بِالْخَيْلِ إِذَا أُجْرِيَتْ فِي سَبِيلِهِ فَعَدَّتْ
عَدُوا قَوِيًّا، صدر عنه الضبح، وهو صوت نفسها في صدرها، عند اشتداد
العدو. وإنما أقسم الله تبارك وتعالى بالخيـل، لما فيها من آيات الله الباهرة،
ونعمه الظاهرة، ما هو معلوم للخلق.

﴿فَالْمُورِيَّتِ﴾ بحوافرهن ما يطأن عليه من الأحجار ﴿قَدْحًا﴾ أي: تقدح
النار من صلابة حوافرهن وقوتهن إذا عدون.

﴿فَالْمُغِيرَتِ﴾ على الأعداء ﴿صُبْحًا﴾ أي في وقت الصباح، وهذا أمر
أغلبـي، أن الغارة تكون صباحًا، وكان رسول الله ﷺ يغير صباحًا ويتسمع
أذانا، فإن سمع وإلا أغار.

﴿فَأَثَرُنَ بِهِ﴾ أي: بعدوهم وغارتهم ﴿نَقْعًا﴾ أي: غبارًا، ﴿فَوَسَطْنَ بِهِ﴾
أي: براكبهن ﴿جَمْعًا﴾ أي: توسطن به جموع الأعداء، الذين أغار عليهم.

وقوله: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ هذا هو المقسم عليه، والمعنى:
إن الإنسان لنعم ربه لجحود كفور، وقال الحسن رحمه الله تعالى: هو الذي يعدُّ
المصائب، وينسى نعم ربه.

وقيل المعنى: إن الإنسان لمنوع للخير الذي عليه لربه.

﴿وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ﴾ أي: إن الإنسان على ما يعرف من نفسه من
الكنود لشاهد بذلك بلسان حاله، لا يجحده ولا ينكره، لأن ذلك أمر بين

واضح، كما قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِم بِالْكَفْرِ﴾ [التوبة: ١٧].

ويحتمل أن الضمير عائد إلى الله تعالى، أي: إن العبد لربه كنود، والله شهيد على ذلك، ففيه الوعيد، والتهديد الشديد، لمن هو لربه كنود، بأن الله عليه شهيد.

﴿وَأِنَّهُ﴾ أي: الإنسان ﴿لِحُبِّ الْخَيْرِ﴾ أي: المال ﴿لَشَدِيدٌ﴾ أي: كثير الحب للمال.

وحبه للمال هو الذي أوجب له ترك الحقوق الواجبة عليه، فبخل بها، وهذا لأنه قصر نظره على هذه الدار، وغفل عن الآخرة، ولهذا قال ﴿جَلَّ وَعَلَا﴾ مزهدا في الدنيا ومرغبا في الآخرة:

﴿أَفَلَا يَعْلَمُ﴾ أي: هَلَّا يعلم هذا المغتر ﴿إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ﴾ أي: أخرج الله الأموات من قبورهم، لحشرهم ونشورهم.

﴿وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ﴾ أي: أظهر وأبرز ما كانوا يسرون في أنفسهم من خير وشر، فصار السر علانية، والباطن ظاهراً.

﴿إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ خَبِيرٌ﴾ أي: إن ربهم لعالم بجميع أعمالهم، لا يخفى عليه شيء منها، ومجازيهم عليها.

وخص خبره بذلك اليوم، مع أنه خبير بهم في كل وقت؛ لأن المراد العلم الذي يترتب عليه الجزاء.



تفسير سورة القارعة

وهي مكية.

قال الله تعالى: ﴿الْقَارِعَةُ﴾ القارعة: من أسماء يوم القيامة، كالحاقة، والطامة، والصاخة، والغاشية، وغير ذلك، وسميت القارعة بذلك، لأنها تفرع الناس وتزعجهم بأهوالها.

ثم قال معظماً أمرها ومهولاً لشأنها: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ﴾؟ ثم فسر ذلك بقوله: ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ﴾ من شدة الفزع والهول ﴿كَالْفَرَّاشِ الْمُبْتُوثِ﴾ أي: في انتشارهم وتفرقهم، وذهابهم ومجيئهم، من حيرتهم مما هم فيه، كأنهم فراش مبعوث، كما قال تعالى في الآية الأخرى: ﴿كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾ أي تكون الجبال الصلاب كأنها الصوف المنفوش، الذي بقي ضعيفاً تطير به أدنى ريح، ثم بعد ذلك، تكون هباءً منثوراً، فتضمحل ولا يبقى منها شيء يشاهد.

وحينئذ تُنصب الموازين، وينقسم الناس قسمين: سعداء وأشقياء، ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ أي: رجحت حسناته على سيئاته ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ في جنات النعيم.

﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ بأن لم تكن له حسنات تقاوم سيئاته.

﴿فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾ أي: مأواه ومسكنه النار، التي من أسمائها الهاوية، تكون له بمنزلة الأم الملازمة له.

وإنما قيل للهاوية أمه؛ لأنه لا مأوى له غيرها، فهي أمه ومأواه التي يرجع إليها ويأوي إليها، كقوله تعالى: ﴿وَمَا أُولَهُمُ النَّارُ﴾ [آل عمران: ١٥١].

وقيل: إن معنى ذلك، فأُمّ دماغه هاوية في النار، أي: يهوي في النار على أم رأسه.

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَّةٌ﴾ وهذا تعظيم لأمرها، ثم فسرهما بقوله هي: ﴿نَارٌ حَامِيَةٌ﴾ أي: شديدة الحرارة، قد زادت حرارتها على حرارة نار الدنيا سبعين ضعفاً، نعوذ بالله منها.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِذَا حُضِرَ الْمُؤْمِنُ أَتَتْهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ بِحَرِيرَةٍ بَيَضَاءَ فَيَقُولُونَ: اخْرُجِي رَاضِيَةً مَرْضِيًّا عَنْكَ إِلَى رَوْحِ اللَّهِ، وَرِيحَانٍ، وَرَبِّ غَيْرِ غَضْبَانَ، فَتَخْرُجُ كَأَطْيَبِ رِيحِ الْمِسْكِ، حَتَّى أَنَّهُ لَيَأْوِلُهُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، حَتَّى يَأْتُونَ بِهِ بَابَ السَّمَاءِ فَيَقُولُونَ: مَا أَطْيَبَ هَذِهِ الرِّيحَ الَّتِي جَاءَتْكُمْ مِنَ الْأَرْضِ، فَيَأْتُونَ بِهِ أَرْوَاحَ الْمُؤْمِنِينَ فَلَهُمْ أَشَدُّ فَرَحًا بِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ بِغَائِبِهِ يَقْدُمُ عَلَيْهِ، فَيَسْأَلُونَهُ: مَاذَا فَعَلَ فُلَانٌ؟ مَاذَا فَعَلَ فُلَانٌ؟ فَيَقُولُونَ: دَعُوهُ فَإِنَّهُ كَانَ فِي غَمِّ الدُّنْيَا، فَإِذَا قَالَ: أَمَّا أَتَاكُمْ؟ قَالُوا: ذُهِبَ بِهِ إِلَى أُمِّهِ الْهََاوِيَةِ، وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا احْتَضَرَ أَتَتْهُ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ بِمَسْحٍ فَيَقُولُونَ: اخْرُجِي سَاخِطَةً مَسْخُوطًا عَلَيْكَ إِلَى عَذَابِ اللَّهِ عَزَّجَلَّ، فَتَخْرُجُ كَأَنَّ رِيحَ جِيْفَةٍ، حَتَّى يَأْتُونَ بِهِ بَابَ الْأَرْضِ، فَيَقُولُونَ: مَا أَتْنَنَ هَذِهِ الرِّيحَ حَتَّى يَأْتُونَ بِهِ أَرْوَاحَ الْكُفَّارِ» رواه النسائي ١٨٣٣، وصححه الألباني.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «نَارُكُمْ هَذِهِ الَّتِي يُوقَدُ ابْنُ آدَمَ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا، مِنْ حَرِّ جَهَنَّمَ» قَالُوا: وَاللَّهِ إِنْ كَانَتْ لِكَافِيَةٍ، يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «فَإِنَّهَا فَضِّلَتْ عَلَيْهَا بِتِسْعَةٍ وَسِتِّينَ جُزْءًا، كُلُّهَا مِثْلُ حَرِّهَا» رواه البخاري ٣٢٦٥، ومسلم ٢٨٤٣.



تفسير سورة التكاثر

وهي مكية.

قال الله تعالى: ﴿أَلْهَكُمُ التَّكَاثُرُ ۚ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ۚ﴾ أي شغلكم حب الدنيا ونعيمها وزهرتها وما فيها من الأموال والأولاد عن طاعة ربكم، وطلب الآخرة وابتغائها، وتمادى بكم ذلك حتى جاءكم الموت وزرتم المقابر، وصرتم من أهلها.

وهذا توبيخ من الله **جَلَّ وَعَلَا** لعباده عن اشتغالهم بالدنيا عما خلقوا له من عبادته وحده لا شريك له، ومعرفته، والإنابة إليه، وتقديم محبته على كل شيء. ولم يذكر في هذه الآية المتكاثرون، ليشمل ذلك كل ما يتكاثر به المتكاثرون، ويفتخر به المفتخرون، من التكاثر في الأموال، والأولاد، والأنصار، والجنود، والخدم، والجاه، وغير ذلك مما يتكاثر به.

عن عبد الله بن الشَّخِير **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قال: أتيت النبي **ﷺ** وهو يقرأ: ﴿أَلْهَكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ قال: «يقول: ابن آدم مالي مالي^(١)». قال: وهل لك يا بن آدم من مالك إلا ما أكلت فأفנית، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأمضيت» رواه مسلم (٢٩٥٨) وفي رواية له (٢٩٥٩): «وما سوى ذلك فهو ذاهب وتاركه للناس».

وعن أنس بن مالك **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ **ﷺ** قَالَ: «لَوْ أَنَّ لِبْنِ آدَمَ وَادِيًا مِنْ ذَهَبٍ، أَحَبَّ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَادِيَانِ، وَلَنْ يَمْلَأَ فَاهُ إِلَّا التُّرَابُ، وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ تَابَ» وَقَالَ أُبَيُّ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: كُنَّا نَرَى هَذَا مِنَ الْقُرْآنِ حَتَّى نَزَلَتْ أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ. رواه البخاري (٦٤٣٩)

(١) يعني يفتخر بماله.

فالإنسان مهما طال عمره فإنه مجبول على الحرص على الدنيا، وطول الأمل فيها، ومصدق ذلك قول النبي ﷺ: «يهرم ابن آدم وتبقى منه اثنتان: الحرص والأمل» متفق عليه.

ومعنى قوله سبحانه: ﴿حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ أي: صرتم إليها ودفنتم فيها، وليس المراد زيارة المقابر من الأحياء للعظة والاعتبار، ففي صحيح البخاري: أن رسول الله ﷺ دخل على رجل من الأعراب يعوده، فقال: «لا بأس، طهور إن شاء الله». فقال: قلت: طهور؟! بل هي حُمى تفور، على شيخ كبير، تزيه القبور! قال: «فنعَم إذا».

وفي هذه الآية ﴿حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ دليل على البعث والنشور، فإن الزائر لا بد أن يرجع إلى منزله، ومنزله الدائم إما الجنة أو النار.

ثم توعدهم جَلَّ وَعَلَا بقوله: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ ٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ قال الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: هذا وعيد بعد وعيد. وقال الضحاك رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ يعني: الكفار، ﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ يعني: أيها المؤمنون.

وقوله: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾ أي: لو علمتم حق العلم ما أنتم قادمون عليه، لما ألهاكم التكاثر عن طلب الدار الآخرة، حتى صرتم إلى المقابر، ولبادرتم إلى الأعمال الصالحة، ولكن عدم العلم الحقيقي، صيركم إلى ما ترون.

وقوله سبحانه: ﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾ أي: لتَرُدُنَّ القيامة، فلتَرَوُنَّ الجحيم التي أعدها الله للكافرين.

﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾ أي: ترونها حقيقة بأبصاركم، كما قال تعالى: ﴿وَرَعَا الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا﴾.

وقوله جل شأنه: ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ أي: ثم لتسألن يومئذ عن شكر ما أنعم الله به عليكم، من الصحة والأمن والرزق وغير ذلك مما تنعمتم به في دار الدنيا، هل قمتم بشكره، وأديتم حق الله فيه، ولم تستعينوا به على معاصيه، فينعمكم نعيمًا أعلى منه وأفضل، أم اغتررتم به، ولم تقوموا بشكره؟ بل ربما استعنتم به على معاصي الله فيعاقبكم على ذلك، كما قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلْهَبْتُمْ طَيِّبَتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ﴾.

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: خرج رسول الله ﷺ ذات يوم أو ليلة فإذا هو بأبي بكر وعمر فقال: «ما أخرجكما من بيوتكما هذه الساعة» قالا: الجوع يا رسول الله، قال: «وأنا والذي نفسي بيده، لأخرجني الذي أخرجكما» قوموا، فقاموا معه، فأتى رجلا من الأنصار، فلما نظر الأنصاري إلى رسول الله ﷺ وصاحبيه قال: الحمد لله ما أحد اليوم أكرم أضيافا مني، فانطلق فجاءهم بعذق، فيه بسر وتمر ورطب، فقال: كلوا من هذه، وأخذ المدينة - يعني السكين - فقال له رسول الله ﷺ: «إياك والحلوب» فذبح لهم، فأكلوا من الشاة، ومن ذلك العذق وشربوا، فلما أن شبعوا ورووا، قال رسول الله ﷺ لأبي بكر وعمر: «والذي نفسي بيده، لتسألن عن هذا النعيم يوم القيامة، أخرجكم من بيوتكم الجوع، ثم لم ترجعوا حتى أصابكم هذا النعيم» رواه مسلم (٢٠٣٨).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: لما نزلت هذه الآية ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ قال الناس يا رسول الله عن أي النعيم نسأل؟ فإنما هما الأسودان - يعني التمر والماء - والعدو حاضر وسيوفنا على عواتقنا قال: (إن ذلك سيكون) رواه الترمذي (٣٣٥٧) وقال الألباني: حسن لغيره.

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أول ما يسأل العبد يوم القيامة من النعيم أن يقال له: ألم نُصِحَّ جسمك؟ ونُرَوَّك من الماء البارد؟». رواه الترمذي. وصححه الألباني في تحقيق المشكاة (٥١٩٦)

والحمد لله رب العالمين



تفسير سورة العصر

وهي مكية.

قال الله تعالى: (والعصر) هذا قسم من الله تعالى بالعصر؛ لشرفه، وهو الدهر الذي هو زمن تحصيل الأعمال الصالحة للمؤمنين وزمن التفريط والمعصية للمعرضين.

وأقسم سبحانه بالعصر وهو الصادق **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** وإن لم يقسم، ولكن أقسم لتأكيد المقام، والله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** يُقسم بما شاء من خلقه، فأقسم بالسماء ذات البروج وبالضحى وبالشمس.... لأن المخلوقات تدل على عظمته، وعلى أنه سبحانه هو المستحق للعبادة، وبيان عظم شأن هذه المخلوقات، وأما المخلوق فليس له أن يُقسم إلا بالله تعالى، لحديث ابن عمر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا** قال: سمعت رسول الله **ﷺ** يقول: «مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ أَشْرَكَ» رواه أبو داود ٣٢٥١، وصححه الألباني.

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ﴾ هذا جواب القسم، أي جنس الإنسان من حيث هو إنسان في خسارة وهلاك.

والألف واللام للجنس، أي كل إنسان في خسارة عظيمة، ثم قال: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ وأكد ذلك بثلاثة مؤكدات: القَسَم، وإنَّ، واللام، التي تسمى المرحلة الواقعة في خبر إنَّ، وتوكيد الكلام إنما يكون إذا كان المخاطب مُنْكَرًا، والمشركون ينكرون أن يكونوا في خسارة؛ لأنهم يزعمون أنهم هم أصحاب النجاة.

والخسار قد يكون خسارًا مطلقًا، كحال من خسر الدنيا والآخرة، وفاته النعيم، واستحق الجحيم.

وقد يكون خاسراً من بعض الوجوه دون بعض، ولهذا عمم الله الخسار لكل إنسان، إلا من اتصف بأربع صفات، وهي: الإيمان والعمل الصالح والتواصي بالحق والتواصي بالصبر.

﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ استثنى الله سبحانه أهل الإيمان فليسوا في خسر، وهذا يوجب الجد والاجتهاد في معرفة الإيمان والتزامه، وفيه الحث على العلم فإنه لا يمكن أن يؤمن بدون علم.

والمعنى: إلا الذين آمنوا بما أمر الله تعالى من الإيمان، وهو الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره.

﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ المراد بالعمل الصالح أفعال الخير كلها، سواء أكانت ظاهرة أم باطنة، وسواء أكانت متعلقة بحقوق الله تعالى أم متعلقة بحقوق العباد، وسواء أكانت من قبيل الواجب أم كانت من قبيل المستحب، إذا كانت خالصة صواباً.

وعطفُ العمل بالواو على الإيمان، من عطف الخاص على العام، لشرف ذلك الخاص ومزيد العناية به. وعطف الخاص على العام يأتي كثيراً، مثل قوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ﴾ فهما من الملائكة والعطف هنا للخاص على العام.

﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ﴾ أي أوصى بعضهم بعضاً بالإيمان بالله وتوحيده، وبالكتاب والسنة والعمل بما فيها.

﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ أي بالصبر على طاعة الله وعن معصيته وعلى أقداره المؤلمة.

فائدة:

عَنْ أَبِي مَدِينَةَ الدَّارِمِيِّ وَاسْمُهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حِصْنٍ، وَكَانَتْ لَهُ صُحْبَةٌ،
 رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ الرَّجُلَانِ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ إِذَا تَقَيَّا، ثُمَّ أَرَادَا أَنْ
 يَفْتَرِقَا، قَرَأَ أَحَدُهُمَا: وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ حَتَّى يَخْتِمَهَا، ثُمَّ يُسَلِّمُ كُلُّ
 وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَلَى صَاحِبِهِ. رواه أبو داود في الزهد ٤٠٢، والطبراني في المعجم
 الأوسط ٥١٢٤، والبيهقي في شعب الإيمان ٨٦٣٩، وصحح إسناده الألباني
 في الصحيحة ٢٦٤٨، وذكر أن في هذا الأثر فائدتين:

الأولى: السلام عند الافتراق، وقد دل عليه قوله ﷺ: «إِذَا انْتَهَى أَحَدُكُمْ إِلَى
 الْمَجْلِسِ فَلْيَسْلَمْ، وَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَقُومَ فَلْيَسْلَمْ، فَلَيْسَتْ الْأُولَى بِأَحَقَّ مِنَ الْآخِرَةِ».
 والثانية: أنه إذا التقى الرجلان ثم أرادا التفرق فيسن أن يقرأ أحدهما على
 الآخر سورة العصر حتى يختمها؛ اقتداء بالصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.



تفسير سورة الهمة

وهي مكية.

قال الله تعالى: ﴿وَوَيْلٌ﴾ وهي كلمة تهديد ووعيد ﴿لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ الذي يهمز الناس بفعله، ويلمزهم بقوله، فالهماز: الذي يعيب الناس، ويطعن عليهم بالإشارة والفعل، واللماز: الذي يعيهم بقوله.

﴿الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ﴾ أي من صفة هذا الهماز اللماز، أنه لا هم له سوى جمع المال بعضه إلى بعض، وإحصاء عدده، كقوله تعالى: ﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَى﴾ وليس له رغبة في إنفاقه في طرق الخيرات وصلة الأرحام، ونحو ذلك.

﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ﴾ أي يظن لجهله أن جمعه المال يخلده في هذه الدنيا، فلذلك كان كدّه وسعيه كله في تنمية ماله، الذي يظن أنه ينمي عمره، ولم يدر أن البخل يقصف الأعمار، وأن البرّ يزيد في العمر.

﴿كَلَّا﴾ أي: ليس الأمر كما زعم ولا كما حسب، ﴿لَيُنَبَذَنَّ﴾ أي: ليطرحن ﴿فِي الْحُطْمَةِ﴾ أي النار، سميت الحطمة لأنها تحطم ما يلقي فيها ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطْمَةُ﴾ تعظيم لها، وتهويل لشأنها.

ثم فسرهما بقوله: ﴿نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ﴾ التي وقودها الناس والحجارة ﴿الَّتِي﴾ من شدتها ﴿تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ﴾ أي: تنفذ من الأجسام إلى القلوب.

ومع هذه الحرارة البليغة هم محبوسون فيها، قد أيسوا من الخروج منها، ولهذا قال: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ﴾ أي: مغلقة ﴿فِي عَمَدٍ﴾ من خلف الأبواب

﴿مُمدَّدة﴾ لئلا يخرجوا منها، والمعنى أن أبوابها مغلقة بأعمدة ممددة؛ لئلا يخرجوا منها. كما قال تعالى: ﴿كَلَّمَآ أَرَادُوآ أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا﴾.

نعوذ بالله من ذلك، ونسأله العفو والعافية.



تفسير سورة الفيل

وهي مكية.

قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾ الخطاب للنبي ﷺ، أو لكل من يصح أن يوجه إليه الخطاب، والمعنى: أما رأيت من قدرة الله وعظيم شأنه، ورحمته بعباده، وأدلة توحيده، وصدق رسوله محمد ﷺ، ما فعله الله بأصحاب الفيل، الذين كادوا بيته الحرام وأرادوا هدمه، فتجهزوا لأجل ذلك، واستصحبوا معهم الفيلة لهدمه، وجاءوا بجمع لا قبل للعرب به، من الحبشة واليمن، فلما انتهوا إلى قرب مكة، ولم يكن بالعرب قدرة على دفعهم، وخرج أهل مكة من مكة خوفاً على أنفسهم منهم، فردَّ الله كيدهم، وأضل عملهم، وأهلكهم، ولهذا قال سبحانه: ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ﴾.

﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾ أي أرسل الله عليهم جماعات متفرقة من الطير.

﴿تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ﴾ أي تحمل حجارة صلبة محمّاة، مع كل طائر منها ثلاثة أحجار يحملها: حجر في منقاره، وحجران في رجليه، أمثال الحمص والعدس، لا تصيب منهم أحداً إلا هلك.

﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصِفٍ مَّا كُوِلٌ﴾ أي جعلهم مُحطَّمين، كأوراق الزرع اليابسة التي أكلتها البهائم ثم رَمَتْ بها.

فكفى الله شرهم، وردَّ كيدهم في نحورهم، وقصبتهم معروفة مشهورة. وهذه من النعم التي امتن الله بها على قريش، فيما صرف عنهم من أصحاب الفيل، الذين كانوا قد عزموا على هدم الكعبة ومحو أثرها من الوجود،

فأبادهم الله، وأضل عملهم، وردّهم بشرّ خيبة. وكانوا قوما نصارى، وكان دينهم إذ ذاك أقرب حالا مما كان عليه قريش من عبادة الأوثان. ولكن كان هذا من باب التوطئة لمبعث رسول الله ﷺ، فإنه في ذلك العام ولد رسول الله ﷺ، وفي ذلك إشارة إلى أن الله عزّ وجلّ لم ينصركم يا معشر قريش على الحبشة لخيريتكم عليهم، ولكن صيانة للبيت العتيق الذي سيشرّفه الله عزّ وجلّ ويعظمه ببعثة النبي محمد ﷺ.



تفسير سورة قريش

وهي مكية.

﴿لَا يَلْفُ قُرَيْشٌ ۝١ إِلَّا لِفِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ۝٢ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ۝٣ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ۝٤﴾ .

الجار والمجرور في قوله: ﴿لَا يَلْفُ﴾ متعلق بالسورة التي قبلها أي: حبسنا عن مكة الفيل، وأهلكنا أهله ﴿لَا يَلْفُ قُرَيْشٌ﴾ لأجل أمنهم، واستقامة مصالحهم، وانتظام رحلتهم في الشتاء لليمن، والصيف للشام، لأجل التجارة والمكاسب.

فأهلك الله من أرادهم بسوء، وعظّم أمر الحرم وأهله في قلوب العرب، حتى احترموهم، ولم يعترضوا لهم في أسفارهم، وأما في حال إقامتهم في البلد، فقد قال الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيَتَخَفَتِ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ [العنكبوت: ٦٧]

ولهذا أمرهم الله بشكر هذه النعمة، فقال: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾ أي: ليوحدوه ويخلصوا له العبادة، ولا يعبدوا من دون صنمًا ولا ندًا، وخص الله بالربوبية البيت لفضله وشرفه، وإلا فهو رب كل شيء.

﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ أي أنعم عليهم برغد الرزق والأمن من المخاوف، وهذه من أكبر النعم الدنيوية، الموجبة لشكر الله تعالى. ولهذا من استجاب لأمر الله عَزَّجَلَّ جمع له بين أمن الدنيا وأمن الآخرة، ومن عصاه سلبهما منه، كما قال تعالى: ﴿وَصَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ

الْجُوعَ وَالْخَوْفَ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ
الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١١٣﴾ [النحل: ١١٢-١١٣].



تفسير سورة الماعون

وهي مكية.

قال الله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ﴾ أي أرايت يا محمد ﷺ الذي يكذب بالدين، أي: بالبعث والجزاء، فلا يؤمن بما جاءت به الرسل عليهم السلام.

﴿فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ﴾ أي: يدفعه بعنف وشدة، ولا يرحمه لقساوة قلبه، ولا يطعمه ويحسن إليه، لأنه لا يرجو ثوابًا، ولا يخشى عقابًا.

﴿وَلَا يَحْضُ﴾ غيره ﴿عَلَى طَعَامِ الْمُسْكِينِ﴾، ومن لازم ذلك أنه بنفسه لا يطعم المسكين، كما قال تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ﴾ ١٧ ﴿وَلَا تَحْضُونَ عَلَى طَعَامِ الْمُسْكِينِ﴾ ١٨ [الفجر: ١٧، ١٨].

﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ﴾ ويل: كلمة تهديد ووعيد لهؤلاء الذي يصلون، ولكنهم ﴿عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ أي: غافلون عنها، يؤخرونها عن وقتها، أو يخلون بأركانها، أو لا يخشعون فيها، وهذا لعدم اهتمامهم بأمر الله حيث ضيعوا الصلاة، التي هي أهم الطاعات وأفضل القربات.

والسهو عن الصلاة، هو الذي يستحق صاحبه الذم واللوم، وأما السهو في الصلاة فهذا يقع من كل أحد، حتى من النبي ﷺ.

وقال عطاء بن دينار رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: الحمد لله الذي قال: ﴿عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ ولم يقل: في صلاتهم ساهون.

ثم قال تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ يُرَآؤُونَ﴾ أي يعملون الأعمال لأجل مراعاة الناس.

وحدَّث عبدُ الله بنُ عمرو وعبدُ الله بنُ عمر رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ سَمِعَ النَّاسَ بِعَمَلِهِ سَمِعَ اللَّهُ بِهِ، سَامِعٌ خَلْقِهِ، وَصَغَرَهُ وَحَقَّرَهُ»، قال: فذرفتُ عينا عبدِ الله. رواه الإمام أحمد ٦٥٠٩، وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح. ومعنى (سَمِعَ النَّاسَ بِعَمَلِهِ) أي أظهره ليسمعه الناس. ومعنى (سَمِعَ اللَّهُ بِهِ سَامِعٌ خَلْقِهِ): أي سَمِعَ اللَّهُ سَامِعٌ خَلْقَهُ بِهِ النَّاسَ ^(١).

﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ أي: يمنعون إعطاء الشيء، الذي لا يضر إعطاؤه على وجه العارية، أو الهبة، كالإئناء، والدلو، والفأس، ونحو ذلك، مما جرت العادة ببذله والسماحة به.

فهؤلاء لم يحسنوا عبادة ربهم، ولا أحسنوا إلى خلقه حتى ولا بإعارة ما ينتفع به ويستعان به، مع بقاء عينه ورجوعه إليهم. فهؤلاء - لشدة حرصهم - لمنع الزكاة وأنواع القربات أولى وأولى.

عَنْ شَقِيقِي، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه قَالَ: «كُنَّا نَعُدُّ الْمَاعُونَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَوَرَ الدَّلْوُ وَالْقَدْرُ» رواه أبو داود ١٦٥٧، وحسنه الألباني.

وفي هذه السورة، الحث على إكرام اليتيم، والمساكين، ومراعاة الصلاة، والمحافظة عليها، وعلى الإخلاص فيها وفي جميع الأعمال، والحث على فعل المعروف وبذل الأموال الخفيفة، كعارية الإئناء والدلو والكتاب، ونحو ذلك، لأن الله ذم من لم يفعل ذلك.



(١) ينظر: النهاية لابن الأثير ٢/ ٤٠١، ٤٠٢، مادة (سمع).

تفسير سورة الكوثر

وهي مكية.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَكَ الْكَوْثَرَ﴾ يمتنُّ الله عزَّ وجلَّ على نبيه ﷺ بأنه أعطاه الكوثر، أي: الخير الكثير، الذي من جملته، ما يعطيه الله لنبيه ﷺ يوم القيامة، من النهر العظيم الذي في الجنة، يقال له: ﴿الْكَوْثَرُ﴾ ويصب منه ميزابان على حوضه المورود، الذي طوله شهر، وعرضه شهر، ماؤه أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل، آتيته كنجوم السماء في كثرتها واستنارتها، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً.

روى البخاري برقم (٦٥٧٨) عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ الْكَوْثَرُ الْخَيْرُ الْكَثِيرُ الَّذِي أَعْطَاهُ اللَّهُ إِيَّاهُ قَالَ أَبُو بَشِيرٍ قُلْتُ لِسَعِيدٍ: إِنَّ أَنَسًا يَزْعُمُونَ أَنَّهُ نَهْرٌ فِي الْجَنَّةِ فَقَالَ سَعِيدُ النَّهْرِ الَّذِي فِي الْجَنَّةِ مِنَ الْخَيْرِ الَّذِي أَعْطَاهُ اللَّهُ إِيَّاهُ).

وروى البخاري برقم (٦٥٨١) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ بَيْنَمَا أَنَا أَسِيرُ فِي الْجَنَّةِ إِذَا أَنَا بِنَهْرٍ حَافَتَاهُ قَبَابُ الدَّرِّ الْمُجَوَّفِ قُلْتُ مَا هَذَا يَا جُبَيْرُ قَالَ هَذَا الْكَوْثَرُ الَّذِي أَعْطَاكَ رَبُّكَ فَإِذَا طِينُهُ أَوْ طَبِيبُهُ مِسْكٌ أَذْفَرُ، شَكَّ هُدْبُهُ.

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: بَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ يَبْنِ أَظْهَرَنَا إِذْ أَغْفَى إِغْفَاءً ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مُتَبَسِّمًا، فَقُلْنَا: مَا أَضْحَكَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «أُنْزِلَتْ عَلَيَّ أَنْفًا سُورَةٌ» فَقَرَأَ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَكَ الْكَوْثَرَ ۝ فَصَلِّ لِرَبِّكَ ۝ وَأَنْخَرْ ۝ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ۝﴾ [الكوثر: ٢] ثُمَّ قَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا الْكَوْثَرُ؟» فَقُلْنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «فَإِنَّ نَهْرَ وَعْدِنِي رَبِّي عزَّ وجلَّ، عَلَيْهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ، هُوَ

حَوْضٌ تَرِدُ عَلَيْهِ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، آيَتُهُ عَدَدُ النُّجُومِ، ...» رواه مسلم ٤٠٠.

ولما ذكر منته عليه، أمره بشكرها فقال تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ﴾ أي: كما أعطيناك الخير الكثير في الدنيا والآخرة، ومن ذلك النهر الذي تقدم صفته فأخلص لربك صلاتك المكتوبة والنافلة ونحرك، فاعبده وحده لا شريك له، وانحر على اسمه وحده لا شريك له. كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣] وهذا بخلاف ما كان المشركون عليه من السجود لغير الله، والذبح على غير اسمه.

وخصّ هاتين العبادتين بالذكر، لأنهما من أفضل العبادات وأجل القربات، ولأن الصلاة تتضمن الخضوع في القلب والجوارح لله، وتنقلها في أنواع العبودية، وفي النحر تقرب إلى الله بأفضل ما عند العبد من النحائر، وإخراج للمال الذي جبلت النفوس على محبته والشح به.

﴿إِنَّ شَانِئَكَ﴾ أي: مبغضك ومبغض ما جئت به من الهدى والحق ﴿هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ أي: المقطوع من كل خير، الأذل الأقل، وأما محمد ﷺ، فهو الذي له الكمال الممكن في حق المخلوق، من رفع الذكر، وكثرة الأنصار، والاتباع ﷺ.

عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: لما قدم كعب بن الأشرف مكة؛ أتوه فقالوا: نحن أهل السقاية والسدانة، وأنت سيد أهل يثرب، فنحن خير أم هذا الصُّنْبِيرِ المنبتر^(١) من قومه يزعم أنه خير منا؟ فقال: أنتم خير منه، فنزلت على رسول الله ﷺ: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾، وأنزلت عليه: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا

(١) الصنبير هو تصغير (الصنبور)؛ أي: الأبر الذي لا عقب له، والمنبتر: الذي لا ولد له.

نَصِيْبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّلُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى
مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا ﴿١٧٢﴾، رواه ابن حبان، وقال ابن كثير في تفسيره: (رواه البزار
وهو إسناد صحيح). وصححه الألباني في صحيح موارد الظمان ١٧٢ / ٢.



تفسير سورة الكافرون

وهي مكية.

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «... قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ تَعْدِلُ رُبْعَ الْقُرْآنِ»: رواه الترمذي ٢٨٩٤، وقال الألباني: صحيح.

وعن نَوْفَلٍ الْأَشْجَعِيِّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لَهُ: «اقْرَأْ عِنْدَ مَنْامِكَ ﴿قُلْ يَأَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾»، ثُمَّ نَمَّ عَلَى خَاتِمَتِهَا، فَإِنَّهَا بَرَاءَةٌ مِنَ الشِّرْكِ» رواه الإمام أحمد ٢٣٨٠٧، وفي الفتوحات الربانية ٣/ ١٥٦: (وقال الحافظ بعد تخريجه حديث حسن أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي وأخرجه ابن حبان في صحيحه وفي سنده الاختلاف كثير على أبي إسحاق السبيعي فلذا اقتضت على تحسينه اهـ) يعني الحافظ ابن حجر في نتائج الأفكار.

هذه السورة سورة البراءة من العمل الذي يعمله المشركون، فقوله تعالى: ﴿قُلْ يَأَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ أي قل يا محمد ﷺ معلنا ومصرحا للكافرين، وهذا يعم كل كافر على وجه الأرض، ولكن المواجهين بهذا الخطاب هم كفار قريش.

﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ أي: لا أعبد الذين تعبدونهم من دون الله تعالى، وهم الأصنام والأنداد.

﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ أي ولا أنتم أيها الكفار تعبدون من أعبد، وهو الله وحده لا شريك له؛ لأن كفار قريش وإن عبدوا الله عَزَّوَجَلَّ إلا أن عبادتهم له عَزَّوَجَلَّ ليست خالصة، بل يشركون معه غيره، فصارت عبادتهم له سبحانه المقترنة بالشرك لا تسمى عبادة.

﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ ۖ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَّا أَعْبُدُ﴾ أي: ليست عبادتي كعبادتكم، ولا عبادتكم كعبادتي، فيكون هذا نفيًا للعبادة وليس نفيًا للمعبود. أي لا أعبد كعبادتكم، ولا تعبدون أنتم كعبادتي، لأن عبادتي خالصة لله، وعبادتكم عبادة فيها شرك.

فتبرأ منهم في جميع ما هم فيه، فإن العابد لا بد له من معبود يعبده، وعبادة يسلكها إليه، فالرسول وأتباعه يعبدون الله بما شرعه؛ ولهذا كانت كلمة الإسلام: «لا إله إلا الله محمد رسول الله» أي: لا معبود إلا الله، ولا طريق إليه إلا بما جاء به الرسول ﷺ، والمشركون يعبدون غير الله عبادة لم يأذن بها الله؛ ولهذا قال لهم الرسول ﷺ: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ أي لكم دينكم وهو الكفر، ولي ديني وهو الإسلام، كما قال تعالى: ﴿وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيضُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [يونس: ٤١] وقال سبحانه: ﴿لَنَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ﴾ [القصص: ٥٥].

وثبت في صحيح مسلم ١٢١٨، عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في صفة حجة النبي ﷺ: أن رسول الله ﷺ قرأ بهذه السورة، وبـ «قل هو الله أحد» في ركعتي الطواف. وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قرأ في ركعتي الفجر: قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ، وَقُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ. رواه مسلم ٧٢٦.

وعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: مَا أَحْصِي مَا سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقْرَأُ فِي الرُّكْعَتَيْنِ بَعْدَ الْمَغْرِبِ وَفِي الرُّكْعَتَيْنِ قَبْلَ صَلَاةِ الْفَجْرِ بِقُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ، وَقُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ. رواه الترمذي ٤٣١، وقال الألباني: حسن صحيح.

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقْرَأُ فِي الْوُتْرِ: بِسَبْحِ اسْمِ رَبِّكَ الْأَعْلَى، وَقُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ، وَقُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ فِي رَكْعَةٍ رَكْعَةٍ». رواه الترمذي ٤٦٢، وصححه الألباني.



تفسير سورة النصر

وهي مدنية.

قال الله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۖ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۚ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ۝﴾.

في هذه السورة الكريمة، بشارة وأمر لرسوله عند حصولها، وإشارة وتنبية على ما يترتب على ذلك.

فالبشارة هي البشارة بنصر الله لرسوله، ودخول الناس في دين الله أفواجًا، بحيث يكون كثير منهم من أهله وأنصاره، بعد أن كانوا من أعدائه، وقد وقع هذا المبشر به.

والمراد بالفتح ههنا فتح مكة، فإن أحياء العرب كانت تتلوم بإسلامها فتح مكة، يقولون: إن ظهر على قومه فهو نبي، فلما فتح الله عليه مكة دخلوا في دين الله أفواجًا، فلم تمض سنتان حتى آمن أهل جزيرة العرب، ولم يبق في سائر قبائل العرب إلا مظهر للإسلام، والله الحمد والمنة.

قال عمرو بن سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كَانَتْ الْعَرَبُ تَلَوُّمٌ بِإِسْلَامِهِمُ الْفَتْحَ، فَيَقُولُونَ: اتْرْكُوهُ وَقَوْمَهُ، فَإِنَّهُ إِنْ ظَهَرَ عَلَيْهِمْ فَهُوَ نَبِيٌّ صَادِقٌ، فَلَمَّا كَانَتْ وَقْعَةُ أَهْلِ الْفَتْحِ، بَادَرَ كُلُّ قَوْمٍ بِإِسْلَامِهِمْ ... الحديث. رواه البخاري ٤٣٠٢.

وأما الأمر بعد حصول النصر والفتح، فأمر رسوله أن يشكر ربه على ذلك، ويسبح بحمده ويستغفره.

فَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ فِي رُكُوعِهِ

وَسُجُودِهِ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي. يَتَأَوَّلُ الْقُرْآنَ. رواه البخاري ٨١٧، ومسلم ٤٨٤.

ومعنى (يتأول القرآن) أي يفعل ما أمر به فيه، أي في قوله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾.

وأما الإشارة، فإن في ذلك إشارتين:

إشارة لأن يستمر النصر لهذا الدين، ويزداد عند حصول التسبيح بحمد الله واستغفاره من رسوله، فإن هذا من الشكر، والله يقول: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ وقد وجد ذلك في زمن الخلفاء الراشدين وبعدهم في هذه الأمة لم يزل نصر الله مستمرًا، حتى وصل الإسلام إلى ما لم يصل إليه دين من الأديان.

وأما الإشارة الثانية، فهي الإشارة إلى أن أجل رسول الله ﷺ قد قرب ودنا، لأن الله تعالى أمر رسوله ﷺ بالحمد والاستغفار في هذه الحال، وهو إشارة إلى أن أجله قد انتهى، فليستعد ويتهيأ للقاء ربه، ويختم عمره بالتسبيح بحمد ربه **عَزَّوَجَلَّ** والاستغفار.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كَانَ عُمَرُ يُدْخِلُنِي مَعَ أَشْيَاحٍ بَدْرٍ فَكَانَ بَعْضُهُمْ وَجَدَ فِي نَفْسِهِ، فَقَالَ: لِمَ تُدْخِلُ هَذَا مَعَنَا وَلَنَا أَبْنَاءُ مِثْلُهُ، فَقَالَ عُمَرُ: إِنَّهُ مَنْ قَدْ عَلِمْتُمْ، فَدَعَاهُ ذَاتَ يَوْمٍ فَأَدْخَلَهُ مَعَهُمْ، فَمَا رُئِيتُ أَنَّهُ دَعَانِي يَوْمَئِذٍ إِلَّا لِيُرِيَهُمْ، قَالَ: مَا تَقُولُونَ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾؟ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: أُمِرْنَا أَنْ نَحْمَدَ اللَّهَ وَنَسْتَغْفِرَهُ إِذَا نُصِرْنَا، وَفُتِحَ عَلَيْنَا، وَسَكَتَ بَعْضُهُمْ فَلَمْ يَقُلْ شَيْئًا، فَقَالَ لِي: أَكْذَاكَ تَقُولُ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ؟ فَقُلْتُ: لَا، قَالَ: فَمَا تَقُولُ؟ قُلْتُ: «هُوَ أَجَلُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَعْلَمَهُ لَهُ»، قَالَ: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾، «وَذَلِكَ

عَلَامَةٌ أَجَلِكَ»، ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾، فَقَالَ عُمَرُ: «مَا أَعْلَمُ مِنْهَا إِلَّا مَا تَقُولُ» رواه البخاري ٤٩٧٠.

والذي فسر به بعض الصحابة من جلساء عمر، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمُ أجمعين، من أنه قد أمرنا إذا فتح الله علينا البلدان أن نحمد الله ونشكره ونسبحه، ونصلي ونستغفره هو تفسير صحيح، وقد ثبت له شاهد من صلاة النبي ﷺ يوم فتح مكة وقت الضحى ثماني ركعات.

لكن فسرهما ابن عباس وعمر، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، بتفسير دقيق: أن هذه السورة نُعِي فيها إلى رسول الله ﷺ نفسه الكريمة، وأُعلِم أنك إذا فتحت مكة - وهي قريتك التي أخرجتك - ودخل الناس في دين الله أفواجا، فقد أدبت ما أمرت به من الدعوة، فتهياً للقدوم علينا، فالآخرة خير لك من الدنيا، ولسوف يعطيك ربك فترضى، ولهذا قال: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾.



تفسير سورة المسد

وتسمى سورة تَبَّتْ، وهي مكية.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]، صَعِدَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى الصَّفَا، فَجَعَلَ يُنَادِي: «يَا بَنِي فِهْرٍ، يَا بَنِي عَدِيٍّ» - لِيُطَوِّنَ قُرَيْشٍ - حَتَّى اجْتَمَعُوا فَجَعَلَ الرَّجُلُ إِذَا لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَخْرُجَ أَرْسَلَ رَسُولًا لِيَنْظُرَ مَا هُوَ، فَجَاءَ أَبُو لَهَبٍ وَقُرَيْشٌ، فَقَالَ: «أَرَأَيْتَكُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا بِالْوَادِي تُرِيدُ أَنْ تُغَيِّرَ عَلَيْكُمْ، أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِي؟» قَالُوا: نَعَمْ، مَا جَرَبْنَا عَلَيْكَ إِلَّا صِدْقًا، قَالَ: «فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيَّ عَذَابٍ شَدِيدٍ» فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ: تَبًّا لَكَ سَائِرَ الْيَوْمِ، أَلِهَذَا جَمَعْتَنَا؟ فَنَزَلَتْ: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۝﴾. رواه البخاري ٤٧٧٠.

قال الله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ أي خسرت يداه، وضل عمله وسعيه، ﴿وَتَبَّ﴾ أي تحققت خسارته وهلاكه، فقوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾ دعاء عليه، وقوله: ﴿وَتَبَّ﴾ خبر عنه.

أبو لهب هذا هو أحد أعمام رسول الله ﷺ واسمه: عبد العزى بن عبد المطلب، وكنيته أبو عتبة، وإنما سمي «أبا لهب» لإشراق وجهه، وكان كثير الأذية لرسول الله ﷺ والبغض له، والتنقص له ولدينه.

﴿مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ﴾ أي المال الذي كان عنده وأطغاه، ﴿وَمَا كَسَبَ﴾ أي ولا ما كسبه من ولد أو جاه أو غيره، فإنه لا يَرُدُّ عنه عذاب الله تعالى إذا نزل به.

﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾ أي: ستحيط به النار من كل جانب، وهي نار عظيمة ذات لهب وإحراق شديد.

﴿وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ أي وامرأته معه في نار جهنم، وكانت زوجته من سادات نساء قريش، وكنيتها أم جميل، واسمها أروى بنت حرب بن أمية، وهي أخت أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكانت شديدة الأذية لرسول الله ﷺ، وعونا لزوجها على كفره وجحوده وعناده، فلهذا تكون يوم القيامة عوناً عليه في عذابه في نار جهنم. ولهذا قال تعالى: ﴿حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ۖ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ يعني: تحمل في النار الحطب فتلقيه على زوجها، ليزداد عذابه، متقلدة في عنقها حبلاً من مسد، أي من ليف، قال مجاهد، وعروة: من مسد النار.

وقيل: كانت تضع الشوك في طريق رسول الله ﷺ، أي أنها متقلدة حبلاً من الليف لتربط به الحطب الذي تأتي به لتضعه في طريق النبي ﷺ.

وفي هذه السورة معجزة ظاهرة ودليل واضح على صدق النبي ﷺ، فإنه منذ نزل قوله تعالى: ﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۖ ۝٣ وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ۖ ۝٤ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۖ ۝٥﴾ فأخبر عنهما بالشقاء وعدم الإيمان، لم يُقيَضْ لهما أن يؤمنا، ولا واحد منهما لا ظاهراً ولا باطناً، لا مُسِرّاً ولا مُعَلِناً، فكان هذا من أقوى الأدلة على النبوة.



تفسير سورة الإخلاص

قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ الخطاب في ﴿قُلْ﴾ للنبي ﷺ.

﴿هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ أي: واحدٌ في ربوبيته، واحدٌ في ألوهيته، واحدٌ في أسمائه وصفاته، لا مثيل له ولا نظير جَلَّ وَعَلَا.

﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ أي: الذي يصمدُ إليه الخلائق، ويقصدونه في حوائجهم؛ لأنَّه جَلَّ وَعَلَا الكامل في أوصافه، ومن كماله سبحانه أنه ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ فليس له ولدٌ، وليس له والدٌ، وليس له صاحبةٌ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وذلك لكمال غناه.

وقوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ أي: ليس له نظيرٌ وليس له مثيلٌ في أسمائه وصفاته، ولا في أفعاله تبارك وتقدس.

وهذه السورة فيها فضائل، وتُسَنِّ في مواضع، فمن فضل هذه السورة أنَّها تعدِّل ثلث القرآن^(١)، وتُسَنِّ قراءتها بعد كل صلاة فريضة^(٢)، وتُسَنِّ أيضا قراءتها ثلاث مراتٍ في الصُّباح وفي المساء^(٣)، ومن قرأها عشر مراتٍ بنى الله له بيتاً في الجنة^(٤).



(١) رواه البخاري في صحيحه: من حديث أبي سعيد برقم (٥٠١٣)، ورواه مسلم: من حديث أبي الدرداء برقم (٨١١) وغيره.

(٢) رواه أبو داود في سننه برقم (١٥٢٣)، وصححه ابن خزيمة وابن حبان. وانظر: صحيح أبي داود الأم للألباني (١٣٦٣).

(٣) رواه أبو داود في سننه برقم (٥٠٨٢)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه، وحسنه الألباني في «صحيح سنن الترمذي» برقم (٣٨٢٨).

(٤) رواه أحمد في مسنده برقم (١٥٦١٠)، وصححه الألباني في الصحيحة برقم (٥٨٩).

تفسير سورة الفلق

يقول الله عزَّجَل: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ أي: قل يا محمد ﷺ، و ﴿أَعُوذُ﴾ أي: ألتجئ وأعتصم. ﴿بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ والمراد بالفلق أي: الصبح، كما قال جَلَّوَعَلَا: ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا﴾ [الأنعام: ٩٦].

﴿مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾، أي: من شرِّ جميع ما خلق الله عزَّجَل من الإنس، والجن، والحيوان، وغيرها، فيستعيذ المرء من شرِّ هذه المخلوقات.

﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ يعني: من شرِّ الليل إذا أقبل بظلامه، وذلك لأنَّ في الليل تنتشر الأرواح الشريرة، وتظهر اللصوص والحيوانات المؤذية، فناسب أن يستعيذ المرء في هذا الوقت من هذه الشرور.

﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾ أي: من شرِّ السواحر اللائِي يَنْفُثْنَ في العُقَد التي يَعْقِدونها عند السَّحَر.

﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ الحاسد: هو الذي يتمنى زوال النعمة عن غيره، وربما سعى ببذل الأسباب في زوال هذه النعمة، فناسب أن يستعاذ بالله عزَّجَل من شرِّه.



تفسير سورة الناس

يقول الله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ أي: قل يا محمد ﷺ. و﴿أَعُوذُ﴾ أي: ألتجئ وأعتصم برب الناس، وهو خالقهم ومالكهم، ومربيهم **جَلَّ وَعَلَا** بنعمه.

﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾ أي: المتصرف في جميع شؤونهم.

﴿إِلَهِ النَّاسِ﴾ أي: معبودهم **جَلَّ وَعَلَا** الذي لا يستحق أحد العبادة سواه.

﴿مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾ الذي يُوسوس في صدور الناس، فيزين لهم والمعاصي، ويحثهم على فعلها، ويُثبّطهم عن طاعة الله **عَزَّجَلَّ**.

ومعنى الخناس، أي: الذي يخنس وينقبض إذا ذكر الله **جَلَّ وَعَلَا**، فحريّ بالمؤمن أن يُكثر من ذكر الله **جَلَّ وَعَلَا**، لأجل أن يخنس الشيطان عنه، وأن ينقبض عن الوسوسة له.

﴿مِنْ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ أي: أن الوسواس كما يكون من الجن، يكون أيضاً من الناس، فمن الناس من يوسوس بالمعاصي، بمعنى: أنه يزين فعل المعاصي ويثبّط عن طاعة الله **جَلَّ وَعَلَا**.

ويُسَنُّ قراءة المعوذتين -سورة الفلق وسورة الناس- بعد كل صلاة، فهي من الأذكار التي يُؤتى بها بعد الصلاة^(١)، ويسنُّ أيضاً قراءة هاتين السورتين في الصباح وفي المساء ثلاث مرات^(٢)، وأيضاً يُسنُّ أن يُؤتى بهاتين السورتين مع

(١) سبق تخريجه: [ص ٧ حاشية (٢)].

(٢) سبق تخريجه: [ص ٧ حاشية (٣)].

سورة الإخلاص عند النوم، فيَنفُثُ بعد قراءتها في يديه ثم يمسح وجهه ورأسه،
وما أقبل من جسده، كما ثبت ذلك عن النبي ﷺ^(١).

والحمد لله رب العالمين



(١) رواه البخاري في صحيحه برقم (٥٠١٧).